ـ وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

العلم خير ميراث ، والأدب خير حرفة[1] ، والتقوى خير زادٍ ، والعبادة خير بضاعة ، والعمل الصالح خير قائدٍ ، وحُسن الخُلق خير قرين ، والحلم خير وزير ، والقناعة خير غِنى ، والتوفيق خير عَوْن ، والموت خير مؤدِّب .

* * *

لماذا سمُّوها الجاهلية ؟!

يقول ربُّنا عزَّ وجل في مُحكم التنزيل :

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾

[النساء : ١٧] .

ويقول أيضاً :

﴿ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الأنعام : ٥٤] .

لذلك سمَّوا حال فعل السيِّئات بالجاهلية ، كما رُوي عن (قتادة) رحمه الله تعالى قوله :

« أجمع أصحاب محمد ﷺ على أن كلَّ مَنْ عصى ربَّه فهو في جهالةٍ ، عمداً كان أو لم يكن ، وكلُّ مَنْ عصى الله فهو جاهل » .

ولما رُوي عن (عكرمة) رحمه الله تعالى قوله : « الدنيا كلُّها جهالة » .

---

(١) حرفة : أي صنعة ، لا مهنة للارتزاق .

ولما رُوي عن (مجاهد) و (الضحّاك) : « ليس من جهالته أن لا يعلم حلالاً ولا حراماً ، ولكن من جهالته حين دخل فيه » ، ونكاد نجد إجماعاً حول كلمة الجاهل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « على أن كل مَنْ عصى الله فهو جاهل » .

والهوى وحده لا يستقلُّ بفعل السيئات إلا مع الجهل ، وإلا لو علم صاحب الهوى علماً قطعياً أن هذا العمل يضرُّه لوجدناه ينصرف عنه ، لأن الله تعالى جعل في النفس حبّاً لما ينفعها ، وبُغضاً لما يضرُّها ، ولذلك لن يفعل أي شيء وهو جازمٌ على أنه يضرُّه ، وهاهنا نعلم سرَّ تركيز الشيطان على إغواء النفس فيُزيِّن لها الضرر ويخدعها ويوسوس لها ، كما في قوله تعالى :

﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ [طه : ١٢٠ـ ١٢١] .

﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٦ـ ٣٧] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ ﴾ [الأنعام : ١٣٦] .

* * *

من أخبار الواقدي :

يروي محمد بن سعد فيقول : رآني محمد بن عمر الواقدي مغتمّاً ، فقال لي : لا تغتمَّ ، فإن الرِّزق يأتي من حيث لا تحتسب ، أمْلَقْتُ مرَّةً حتى بعتُ برذَوني[1] !

---

(١) البرذون : هو نوع من الخيول لكنها غير عربية .